# الحضارة والعداء

بقلم الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

يمارس الانسان حياته طبقاً لمجموعة من العادات، والتقاليد، والقيم، إضافة لمعايير اجتماعية وأخلاقية، وأخرى دينية وسلطوية. وبالتالي فان أي انحراف لافت عن أحد هذه العوامل يضع صاحبه في مواجهة مع الجهة الراعية، علماً أن الانسان يتأثر بشكل كبير في محيطه، بينما تأثير الفرد على المحيط يبقى محدوداً كقاعدة عامة. من هنا فإن المجتمعات التي تربي أجيالها على الحقد والكراهية وتشرع الانتقام تحت راية التعاليم الروحية أو الزمنية تتعطل عندها مقومات الرقي والتقدم فتبقى متأخرة عن تطور غيرها من المجتمعات المنفتحة التي تقيم وزناً كبيراً لحقوق الفرد المجسدة بشرعة حقوق الانسان. وعلم النفس يؤكد لنا أن من تُغرس في نفسه ووجدانه الكراهية والفوقية والأصولية لا يمكن أن يكون منتجاً، متقبلاً لغيره ومسالماً في حياته، بل عنصر تفجير لكل ما هو قيمي واجتماعي ونُظمي، كون فاقد الشيء لا يمكن أن يعطيه.

من هنا أعجب لمنطق أخي اللبناني الذي يشترط عليّ إعلان عدائي لإسرائيل وللشعب اليهودي ليقبلني شريكاً له في الوطن، كما أعجب لأخ آخر يناصبني العداء ما لم أغير جلدي، أنكر أصلي وأعلن عروبتي. ترى هل يمكن أن نبني وطناً لبنانياً، متعدد الحضارات والإثنيات، مستقلاً وحراً، ونقيم مجتمعاً حضارياً ومنفتحاً ونحن نعتمد على هذه الأسس البالية غير آخذين بعين الاعتبار تجارب غيرنا من الشعوب؟ بالطبع لا، ولنا خير مثال في تجربتين متناقضتين، الأولى مع دول الاتحاد السوفياتي الفاشلة نتيجة القهر والصهر والحقد، والثانية مع دول الاتحاد الأوروبي الناجحة لاعتمادها على التسامح واحترام الغير هويةً وحضارة ومعتقداً. فالأوطان لا تبنى على الحقد والعداء، كما أن المجتمعات لا تتكون بالصهر والقهر. فبعد ٢٧ سنة من حروب الآخرين على أرضنا ومن خلالنا، حان الوقت لنراجع طروحاتنا ومفاهيمنا فنبقي منها ما هو بناء وقابل للحياة، ونتخلص من تلك التي تردنا إلى العصور الحجرية والهمجية فيما العالم الحر وصل بفضل العلم، الانفتاح، احترام حقوق الفرد، وحرية المعتقد إلى القمر والمريخ.

من هذا المنطلق فلبنان لكل أهله بكافة مذاهبهم وحضاراتهم ولا يتكنى بغير اسمه، واللبناني يجب يكون لبنانياً قبل أي شيء آخر مع احتفاظ كافة الشرائح بحق المفاخرة بجذورها وحضارتها وتميزها، لأن في هذا إغناء للمجتمع اللبناني. وبما أننا نتكلم عن العلم والرقي والتقدم من جهة والتقوقع والتخلف والرجعية من جهة أخرى، دعونا نطالع معكم ما جاء في

تقرير أصدره "برنامج الأمم المتحدة للتنمية" في القاهرة، في ٢٠٠٢/٧/١ إذ يقول التقرير: "إن سكان العالم العربي كانوا الأقل استمتاعاً بالحرية على الصعيد العالمي في التسعينيات، الأمر الذي يعتبر عائقا رئيسياً أمام التنمية". ويعتبر التقرير أن هناك "ثلاثة نواقص أساسية تواجه جميع الدول العربية وهي: نقص الحرية، ونقص تمكين المرأة، ونقص المعرفة". وينتقد التقرير "نسبة استخدام طاقات المرأة العربية من خلال المشاركة السياسية والاقتصادية" مؤكداً أنها "الأكثر تدنياً في العالم فهي تحتل ٣،٥% من مقاعد البرلمانات مقارنه مع ١١% في أفريقيا جنوب الصحراء". ويفيد التقرير أن "مجموعة مؤشرات التمثيل والمساءلة" التي يستخدمها برنامج الأمم المتحدة "تؤكد المستوى المتدني للحرية في المنطقة العربية" مضيفاً أن "المجموعة تشمل عدداً من المؤشرات التي تقيس مظاهر متنوعة لنواحي العملية السياسية، والحريات المدنية، والحقوق السياسية، واستقلالية وسائل الإعلام" وهي تؤكد أن "المنطقة العربية تأتي في المرتبة الأخيرة وفق ترتيب لجميع مناطق العالم". ويضيف التقرير أن المشاركة السياسية في العالم العربي ما زالت "دون المستوى المتحقق في جميع مناطق العالم رغم الإنجازات المتحققة في بعض الدول العربية في الربع القرن الأخير". ويشير التقرير إلى أن "منظمات المجتمع المدني ما زالت تعاني من عقبات تحد من إنشائها وعملها بفعالية" موضحاً أن أبرز العقبات هي "البيروقراطية المتمثلة بسيطرة السلطات العامة على منظمات العمل الأهلي". ويضيف التقرير أن "استخدام المعلوماتية في الدول العربية أقل من أي منطقة أخرى حيث لا تتجاوز نسبة مستخدمي الانترنت ٠,٦% ويملك ١,٢% من المواطنين العرب كومبيوتراً شخصياً في حين شكلت النفقات العلمية عام ١٩٩٦ ، ٠,١٤ في المئة فقط من الناتج الاجمالي العربي بالمقارنة مع ١,٢٦ في المئة لكوبا و٢,٩ في المئة لليابان علم ١٩٩٥ كما ان الاستثمار في البحث والتطوير اقل من سبع المعدل العالمي".

يبقى أنه من لا يتعلم من تجارب غيره يعزل نفسه، ولبنان ما كان يوماً منعزلاً، كما أنه ما كان يوماً متخاذلاً في أي شأن وطني. دعونا نلتفت إلى وطننا وإلى احتياجات أهلنا فنكف عن المتاجرة بقضايا غيرنا ونمنع الغير من المتاجرة بنا واستعمالنا وقودا في أتون مصالحهم. دعونا نتحصن بالعلم والقانون، بشرعة حقوق الانسان، فنسلم ونخرج من قوقعة التحجر والأصولية إلى رحاب الحرية، والسيادة والاستقلال.

٢٠٠٢/٨/٢٣